العرب
الأربعاء 2020/12/16
السنة 43 العدد 11913

تركيا وهي تدفع ثمن مغامرات أردوغان

فاروق يوسف
كاتب عراقي

تركيا دولة شريرة، فهي تحارب من غير أن تكون مضطرة للقيام بذلك. وهي تعرض نفسها للعقوبات التي يمكن أن تطيح باقتصادها الذي هو في وضع سيء من غير أن تكون قادرة على الرد على تلك العقوبات بالمثل.

لم تكن تركيا كذلك يوم كانت هناك دول قوية قائمة في المنطقة. لقد أغرتها الانهيارات السياسية التي شهدتها دول المنطقة بإظهار ما كانت تخفيه من شعور بالتفوق فعبرت عن ذلك الشعور بسلوك لا يتسم بالحكمة وليس فيه شيء من الوعي السياسي المسؤول.

فإذا كانت إيران قد اندفعت في التوسع مدفوعة بنظريتها عن تصدير الثورة فما الذي يدعو تركيا إلى الزج بنفسها في حروب الجيران وهي دولة كان القطاع الخاص قد حقق فيها نوعا من الطفرات الاقتصادية وبالأخص على مستوى الصناعات الغذائية في مرحلة ما قبل تلك المغامرات التي بدا رجب طيب أردوغان وكأنه يمثل دور البطل فيها؟

أردوغان هو نتاج المطبخ الإخواني، فما يقرره التنظيم العالمي للإخوان المسلمين يفعله أردوغان، وهو يستغل في ذلك صلاحياته رئيسا لتركيا وذلك ما أوقع الشعب التركي في شباك المؤامرة الإخوانية

ألم يكن نجاحها الاقتصادي والسياحي كفيلا بأن يجعلها تغض الطرف عن المغامرات العسكرية وهي البلد الذي شهد في الماضي غير مرة انقلاب العسكر على الحياة المدنية؟

كان من الممكن أن يستثمر أردوغان ذلك النجاح الذي هو نتيجة الجهد الذي بذلته الحكومات التي سبقت حكومته وبان حصاده في عهده ليقدم تركيا باعتبارها دولة ناجحة تستحق أن ينظر إليها الاتحاد الأوروبي بعين واسعة من أجل أن يعيد النظر في الطلب الذي قدمته من أجل الانضمام إليه.

ولكن أردوغان شخصيا لم يكن راغبا في حقيقة موقفه أن تنضم تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. فهو لا يرغب في أن يقف تحت مظلة الشروط الأوروبية الخاصة بحقوق الإنسان والارتباط بالجماعات الإرهابية.

بدأت تركيا حروبها الإقليمية المحدودة في شمال العراق بعد احتلاله مباشرة عام 2003. كانت الحجة يومها أن هناك حاجة لمطاردة ميليشيا حزب العمال الكردستاني وهو حزب تركي معارض يتخذ أفراده الأكراد من المناطق التي يحكمها الأكراد العراقيون مواقع للهجوم على الأراضي التركية.

كان العراق يومها ضعيفا وكانت الحجة مقنعة.

تكرر الأمر في سوريا بعد عام 2011. لقد تم استضعاف النظام السوري وكانت تركيا ممرا لكل فصائل التنظيمات الإرهابية غير أنها لم تكتف بذلك، بل دخلت بجيشها لتحارب هناك من أجل فرض منطقة آمنة داخل سوريا.

في سوريا كان الوضع مختلفا. لقد اصطدمت تركيا بروسيا هناك وتمت تسوية الأمر لكن من غير أن تتم مساءلة الطرف التركي عن سبب وجوده العسكري على الأراضي السورية. كان لدى تركيا ما تقوله في ذلك المجال. شيء ما شبيه بحجتها في العراق.

ولكن ذهابها إلى ليبيا لا حجة في الدفاع عن النفس يمكن أن تغطيه.

وقبل ليبيا يمكننا أن نلقي نظرة على أوضاع الليرة التركية في ظل عدد من المغامرات التي خاضتها تركيا وهي تتحدى الدول الكبرى. لقد انهارت الليرة وصار الاقتصاد التركي يترنح. أما حين تمت مقاطعة البضائع التركية في عدد من الدول العربية فإن الكثير من شركات القطاع الخاص تعرضت للإفلاس.

كان واضحا أن تركيا لم تعد تلك الدولة التي يعتد بها على مستوى احترامها للقانون الدولي. فالذهاب إلى ليبيا من أجل الاشتراك في الحرب هناك بمرتزقة سوريين إنما يمثل رغبة أردوغانية لا علاقة لها بمصالح تركيا.

صار علينا أن نقول إن تركيا شيء وأردوغان شيء آخر.

أردوغان هو نتاج المطبخ الإخواني. ما يقرره التنظيم العالمي للإخوان المسلمين يفعله أردوغان. وهو يستغل في ذلك صلاحياته رئيسا لتركيا. ذلك ما أوقع الشعب التركي في شباك المؤامرة الإخوانية.

ولأن أردوغان لا يمكن أن يتخلى عن الحكم إلا لخليفة إخواني لم يختره حتى الآن فإنه سيكون في ما تبقى لديه من الوقت ماهرا في اللعب على مستوى التصدي للعقوبات التي ينتظرها من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

غير أنه لن يتصرف بالطريقة الغبية التي تصرف بها الإيرانيون.

سيكون لينا هذه المرة. فلا أحد يلهو. لا لأن الوضع في المنطقة في أسوأ أحواله فحسب بل وأيضا لأن أوروبا والولايات المتحدة تعيشان مرحلة انتقالية لا تسمح بالكثير من العبث.

إن أخطأ أردوغان في فهم تلك التحولات فقد تكون العاقبة سيئة على تركيا. ستدفع تركيا بطريقة ظالمة ثمن المغامرة الأردوغانية. وذلك ليس مستبعدا في ظل حالة الحياد التي يعيشها الجيش التركي.

لماذا لا تفرح الجزائر بما حققه المغرب؟

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

حسنا، هناك من لا يريد معرفة المغرب ولا يريد الاطلاع على تاريخ دولة قديمة لديها مؤسساتها الراسخة وكيف أن المغرب استقبل النازحين من إسبانيا من مسلمين ويهود بعد سقوط الأندلس في العام 1492، سنة اكتشاف كولومبوس للقارة الأميركية.

هناك، بكلّ بساطة مشكلة يعاني منها بعض العرب عموما والجزائريون الذين في السلطة على وجه الخصوص. تكمن هذه المشكلة في أنّهم لا يقرأون وإذا قرأوا فإنّهم لا يفهمون ما قرأوه أو ما قُرئ لهم. جعلت مشكلة عدم القراءة رئيس الوزراء الجزائري عبدالعزيز جراد يقول كلاما لا علاقة له بالواقع لا من قريب أو بعيد. قال جراد في أوّل تعليق على اعتراف أميركا بمغربيّة الصحراء إن "الجزائر مستهدفة بالذات"، وهناك "تحديات تحيط بالبلاد"، لافتا إلى وجود "إرادة حقيقية" لضرب الجزائر، وهو ما يؤكده "وصول الكيان الصهيوني قرب الحدود".

يدعو مثل هذا الكلام الصادر عن جراد إلى الضحك. كان كافيا لرئيس الوزراء الجزائري قراءة البيان الصادر عن الديوان الملكي في المغرب ليتأكد من أنّ الهرب من الحقيقة لا يقدّم ولا يؤخّر في شيء. كلّ ما في الأمر أن الجزائر، كنظام تبحث عن عذر تعوّض به عن الهزيمة التي لحقت بها بعد خسارتها القدرة على ابتزاز المغرب عن طريق أداة اسمها "بوليساريو" مرفوضة من الشعب الجزائري نفسه.

ورد في البيان المغربي الذي تطرق إلى الاتصال الهاتفي بين العاهل المغربي الملك محمّد السادس والرئيس الأميركي دونالد ترامب الآتي "اعتبارا للدور التاريخي الذي ما فتئ يقوم به المغرب في التقريب بين شعوب المنطقة، ودعم الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط، ونظرا إلى الروابط الخاصة التي تجمع (أفراد) الجالية اليهودية من أصل مغربي، بمن فيهم الموجودون في إسرائيل، بشخص جلالة الملك، فقد أخبر جلالته الرئيس الأميركي، بعزم المغرب:

– تسهيل الرحلات الجوية المباشرة لنقل اليهود من أصل مغربي والسياح الإسرائيليين من المغرب وإليه.

– استئناف الاتصالات الرسمية الثنائية والعلاقات الدبلوماسية في أقرب الآجال.

– تطوير علاقات مبتكرة في المجال الاقتصادي والتكنولوجي. ولهذه الغاية، العمل على إعادة فتح مكاتب للاتصال في البلدين، كما كان عليه الشأن سابقا ولسنوات عديدة، إلى غاية 2002.

وقد أكد جلالة الملك أن هذه التدابير لا تمس بأي حال من الأحوال، الالتزام الدائم والموصول للمغرب في الدفاع عن القضية الفلسطينية العادلة، وانخراطه البناء من أجل إقرار سلام عادل ودائم بمنطقة الشرق الأوسط".

قبل كلّ شيء، لم ترد في البيان كلمة تطبيع. الأهمّ من ذلك كلّه، أن مكتب الاتصال الإسرائيلي في الرباط ومكتب الاتصال المغربي في تلّ أبيب، كانا موجودين في الماضي وتقرّرت إعادة الحياة إليهما.

لم يتغيّر شيء في العلاقة بين المغرب وإسرائيل، خصوصا بين المغرب واليهود من أصل مغربي أكانوا في إسرائيل أو خارجها أو في المغرب نفسه. لم يتوقف المغرب يوما عن احتضان كل مواطنيه بغض النظر عن الديانة التي ينتمون إليها. هذا واجب أمير المؤمنين الملك محمد السادس. مثل هذا الواجب يفرض حماية كل مواطن مغربي وكل من هو موجود على تراب المملكة، بما في ذلك الصحراء المغربيّة التي هي جزء لا يتجزأ من المغرب.

يشكل وجود يهود مغاربة عامل غنى للمجتمع المغربي وللمملكة بشكل عام. اليهودية جزء من الهويّة المغربية وثقافة البلد. ليس لدى المغرب أي نوع من العقد... كما لدى الآخرين الذين تنكروا لهويتهم ولثقافتهم. على العكس من ذلك، يشجع المغرب على نشر ثقافة التسامح والاعتراف بالآخر والتعرّف على الديانات الأخرى.

يقول أحد الذين حضروا بانتظام احتفالات عيد العرش في المغرب في السنوات الأخيرة، إن العاهل المغربي يمنح دائما أوسمة إلى شخصيات مغربيّة مهمّة أو ناشطة في مجالات معيّنة. من بين هذه الشخصيات، كانت هناك على الدوام شخصيات يهودية، بمن في ذلك رجال دين مثل كبير حاخامي الرباط أو الدار البيضاء. هناك اهتمام لدى ملك المغرب بكلّ مواطن مغربي.

كان يفترض بالجزائر الاستفادة من الاعتراف الأميركي بمغربية الصحراء، التي استعادها المغرب سلميا من الاستعمار الإسباني في العام 1975، من أجل التخلّص من عقدها، وفي مقدّم هذه العقد عقدة اسمها المغرب. كان عليها أن تسأل نفسها لماذا الحدود مغلقة بين البلدين منذ العام 1994 على الرغم من كلّ المبادرات التي قام بها الملك محمّد السادس.

كان يفترض بالجزائر الاستفادة من الاعتراف الأميركي بمغربية الصحراء التي استعادها المغرب سلميا من الاستعمار الإسباني في العام 1975 من أجل التخلص من عقدها، وفي مقدم هذه العقد عقدة اسمها المغرب

تستطيع الجزائر الاطمئنان إلى أن المغرب لا يشكّل خطرا عليها بأي شكل. لم يشكّل خطرا في الماضي ولن يشكّل خطرا في المستقبل. أمّا استغلال اعتراف أميركا بمغربية الصحراء واعتمادها رسميا خارطة للمغرب بكلّ أراضيه، فهذا شأن أميركي وانتصار للمغرب تحقّق بفضل جهود دؤوبة وطويلة.

لماذا لا تفرح الجزائر بما حققه المغرب وتعمل على إقامة علاقات طبيعية معه؟ أكثر من ذلك، تستطيع الجزائر الاستفادة من الانفتاح المغربي، عربيا وأوروبيا وأفريقيا ودوليا، ومن قدرة المغرب على النهوض باقتصاده على الرغم من عدم امتلاكه ثروات طبيعية كبيرة. لماذا لا تعترف الجزائر بأن الرهان في المغرب كان على الإنسان الذي هو أهمّ ثروة في البلد؟ هذا لا يعني رفض الاعتراف بوجود نواقص ومشاكل لا بدّ من التصدّي لها، بما في ذلك رفع مستوى التعليم ومحاربة الفقر في مناطق معيّنة...

ما يمكن أن يفسّر ردّ فعل رئيس الوزراء الجزائري، في وقت لا يزال رئيس الجمهورية عبدالمجيد تبّون يتعافى في أحد مستشفيات ألمانيا، وجود أزمة سياسية عميقة في البلد. تمرّ الجزائر التي لم تشف من سنوات مرض عبدالعزيز بوتفليقة التي امتدت من 2013 إلى 2019، في مرحلة انتقالية. المهمّ أن تفضي هذه المرحلة الانتقالية إلى تغيير في العمق على كلّ المستويات. ستكون العلاقة الجديدة بطبيعتها المختلفة بالمغرب، في حال حصولها، أهمّ دليل على حصول هذا التغيير الذي لا يمكن إلا أن يستفيد منه البلدان في حال توافر شروط معيّنة. في مقدّم هذه الشروط امتلاك الجزائر لشجاعة الاعتراف بأنّ قضية الصحراء قضيّة مفتعلة لا أكثر وأنّها تعكس رغبة منها في استنزاف المغرب في ظلّ شعارات فارغة من نوع "حق تقرير المصير للشعوب".

في حال كانت الجزائر حريصة فعلا على الصحراويين لماذا لا تقيم لهم دولة في أراضيها، خصوصا أنّهم منتشرون في طول الشريط الممتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، من موريتانيا إلى السودان، مرورا بالجزائر طبعا!